

مهمة الفلسفة إزاء المجتمع والتقنية والكائن

قراءة في حوار مارتن هيدغر وريتشارد فيسر*

الدكتور كحل فيصل، جامعة تيارت

الملخص: يبحث المقال في الحوار الذي أجراه ريتشارد فيسر مع مارتن هيدغر فيما يخص الفلسفة والمجتمع والكائن أي في دور الفلسفة اتجاه المجتمع والكائن، لأن التساؤل عن ماهية الفلسفة لا يتحدد من داخل الفلسفة كبحت في المعرفة والوجود والقيم وإنما في مهمتها ودورها الحضاري، في مجال الإنسان والمجتمع والمتغيرات العلمية والتقنية والتكنولوجية التي أثرت في الوجود الإنساني المعاصر.

The following article deals with the dialogue conducted by Richard Visser with Martin Heidegger concerning philosophy, society and the object, in other words, the role of philosophy towards community trend and the object, because the question of what philosophy is, is not determined from within philosophy as research in the knowledge and existence and values, but in its mission and role in civilization in the field of human, society and scientific, technical and technological variables that have affected the contemporary human existence.

The object الكائن society المجتمع التقنية Technology الكلمات المفتاحية:

الوجود Being الفلسفة Philosophy.

مقدمة:

إن النص الذي نحن بصدد مناقشته وتحليل مضامينه عبارة عن حوار أجراه "ريتشارد فيسر" مع "مارتن هيدغر" في إحدى قنوات التلفزة الألمانية ونشر في إطار مؤلف جماعي تحت إشراف ريتشارد فيسر عن دار النشر Karl Alber، فرايبورج ميونيخ 1970، ص: 67-77. وهو نص يتكلم فيه هيدغر عن موضوعات ومسائل متباعدة عن بعضها البعض نسبياً، لأنه لم يكن نصاً منضمّاً بشكل كاف، ينتقل فيه المحاور من السؤال حول مهمة الفلسفة عامة ودورها بالنسبة

للإنسان والمجتمع والكائن والكينونة بعامية إلى التساؤل حول وظيفة الفلسفة بالنسبة للجامعة ثم بالنسبة لغيرها من العلوم الأخرى، ليربط المحاور كل هته الأسئلة من خلال بيان علاقتها بفلسفة هيدغر الأنطولوجية، محاولاً أن يجد إجابة عنها من مسار الفكر الهيدغري ذاته. ويبدو من خلال الحوار أن هيدغر غالباً ما يوجه السؤال الذي يطرح عليه من طرف ريتشارد فيسر إلى سؤال آخر يتلاءم مع طبيعة الأسئلة الجذرية التي تطرحها فلسفته، ولكن على الرغم من تباين الموضوعات التي شكلت مضامين الحوار إلا أن هناك هدفاً مشتركاً يحكم كل إجابات هيدغر، يظهر ذلك من خلال تركيزه على علاقة الفلسفة بمتغيرات العصر العلمية والتقنية التي أثرت بدورها على الوجود الإنساني المعاصر ومن ثم على مآله ومصيره. إن أهمية تحليل مضامين وحيثيات هذا الحوار هي بيان وجهة نظر فلسفة هيدغر إزاء متغيرات العصر، لا سيما أن الحوار كان في سنة 1970 (أي قبل ستة سنوات من وفاة هيدغر)، وبالتالي معرفة إن كانت مواقف هيدغر الفلسفية إزاء الكائن الكينونة، الإنسان، المجتمع، العلم التقنية... قد تغيرت في آخر مساره الفكري أم أنها بقيت متمسكة بالمسار الأنطولوجي نفسه الذي طرح في مؤلف "الكينونة والزمان"¹ منذ 1927؟ إن السؤال الهادي في قراءة ومناقشة مضامين وموضوعات هذا الحوار الفلسفي بين فيسر وهيدغر هو بيان المهام المناطة بالفلسفة أمام متغيرات العصر في مجال الإنسان، المجتمع، العلم، التقنية التكنولوجية، التي أثرت بدورها على الدواين الإنسي المعاصر؟

يبدأ فيسر سؤاله لمارتن هيدغر حول المهمة الاجتماعية للفلسفة في الوقت الحاضر؟ بمعنى ماذا يمكن أن تقدم الفلسفة للإنسان والمجتمع والعلم، وكذا مدى مساهمتها في تغيير الأنماط التقليدية فيما يخص إصلاح المجتمع والجامعة.

إنَّ جواب هيدغر دقيق وحاسم، وهو الجواب نفسه الذي أقره منذ أربعين عاماً في محاضراته الافتتاحية بجامعة فرايبورج 1929، إنه من الصعب جداً تحديد مهمة واضحة للفلسفة إزاء الإنسان والمجتمع والعلم والكائن، لأن تفرعات العلوم ومجالات بحثها يجعل من الصعب القبض عليها وفق ما يحدد لنا مهام الفلسفة إزاء كل منها، "إن كل مفكر يفكر فقط في فكرة واحدة. وهذا ما يميز كذلك بشكل أساسي الفكر عن العلوم، إن الباحث der Forscher يحتاج دائماً إلى اكتشافات وأفكار جديدة وإلا وقع العلم في الكساد Stocken والخطأ. أما المفكر فيحتاج

فقط إلى فكرة واحدة، والصعوبة التي تواجه المفكر هي أن يحتفظ جيدا *festhalten* بهذه الفكرة الوحيدة والواحدة باعتبارها الشيء الوحيد الذي ينبغي التفكير فيه حسب رأيه²، إن المفكر يتوجه صوب خط أفقي محاولا بحث الفكرة التي يريد الكشف عنها، إذ كلما أوغل المفكر أو الفيلسوف في البحث والسؤال عن حقيقة وماهية هذه الفكرة كلما حقق غاية ومهمة الفلسفة، بينما في مجال العلوم فإن الأمر يختلف اختلافا جذريا، لأن الباحث في العلم مطالب دوما بالوصول إلى أفكار جديدة إزاء العلم موضوع البحث، فمثلا لو اكتفى الفيزيائي في موضوع بحثه بالمعطيات الفيزيائية الكلاسيكية لتوقف البحث في الفيزياء ولم تصل إلى ما وصلت إليه اليوم من أفكار جديدة حول الذرة والنيوترون والبروتون والإلكترون وعالم الميكروفيزياء وغيرها، وبالتالي ما كان للفيزياء الحديثة والمعاصرة أن تقوم لها قائمة لولا تجاوز التفسيرات الفيزيائية الكلاسيكية. "ولتأمل لحظة ما يعنيه القول بأن عصرا من عصور التاريخ يتميز بكونه "عصرا ذريا" إن الطاقة الذرية التي اكتشفتها العلوم وأطلقتها من عاقلها قد تمثلت، كأنما هي القوة التي يجب أن تحدد مجرى التاريخ. والحق أن العلوم لا تكون إلا إذا تقدمتها الفلسفة"³، إن نظريات العلم متغيرة على حسب تغير معطياته، فهو دائما في مساره يسعى إلى اكتشاف النتائج الجديدة التي تبقى صادقة فقط ما لم تأتي نتائج أخرى تكذبها، وهكذا فإن مسار العلم تراكمي يحتاج دائما إلى الأفكار الجديدة التي تحفظه من الكساد والخطأ.

ولكن "ومع ذلك فإننا في هذه العلوم جميعا، وإذا تتبعنا مقاصدها الخاصة بها تماما - نكون دائما على صلة "بالموجود نفسه". ومن وجهة نظر هذه العلوم لا يتمتع ميدان من ميادينها - على وجه الدقة - بأية "أولوية" على غيره من الميادين، فالطبيعة لا تأتي "قبل" التاريخ، أو العكس. وليس في المناهج التي تتناول الأشياء منهج يعلو على سائر المناهج"⁴، يبحث العلم الشيء نفسه، أي أنه يبحث في الظواهر محاولا إيجاد تفسير مناسب لها يقترح هيدغر تعريفا للعلم الحديث كنظرية للواقع⁵، غير أن العلم كنظرية لا يعدو أن يبحث إلا في ظاهرية الظاهرة، أما السؤال عن الظاهرة نفسها فهو من مهام الفلسفة، يبدو أن أفق العلم ينسد أمام انفتاح السؤال الفلسفي، و"إن السؤال هو تقوى (خشوع) الفكر"⁶، لأن مهمة الفلسفة الحقبة تبدأ حين ينتهي العلم إلى نتائجه بعد

صياغة الفروض والتجريب والوصول إلى القوانين، ينتهي العلم إلى أفق مسدود "العلم لا يتحرك في بعد الفلسفة، ولكنه مع ذلك متوقف دون أن يعرف... مثلاً: تتحرك الفيزياء في إطار مفاهيم الزمان والمكان والحرية. ولكن العلم كعلم لا يمكن أن يحسم في تحديد الحركة المكان والزمان. إن العلم إذلاً لا يفكر أنه لا يستطيع بتاتا بواسطة مناهجه بهذا المعنى. لا يمكنني مثلاً أن أقول ما هي الفيزياء بواسطة مناهج فيزيائية، إنني لا أستطيع أن أفكر ما هي الفيزياء إلا بكيفية السؤال الفلسفي"⁷.

بيد أنّ مهمة الفلسفة إزاء العلوم، تتطلب من الفكر أن يكون عملياً بالمعنى الذي يؤثر في واقع الإنسان وتطوره الاجتماعي والحضاري، بل أن الفكر النظري وحده غير كاف البتة ما لم تعمل العلوم من تلقاء ذاتها على أن تكون عملية في تناول غايات الإنسان وأهدافه العملية. "إن ميادين المعرفة ينفصل بعضها عن البعض الآخر بمسافات متباعدة، والطريقة التي يعالج بها كل علم من علومنا موضوعه تختلف اختلافاً جوهرياً عن طريقة غيره من العلوم. غير أن هذا الحشد المتناثر من المناهج العلمية لا يدين اليوم بأنساقه لغير التنظيم الفني للجامعات والكليات، ولا يحتفظ بأي معنى من خلال الغايات العملية التي يستهدفها المتخصصون. وعلى العكس من ذلك نجد أن جذور العلوم في أساسها الجوهري قد ذوت وضمحلت"⁸، إن ما يميز المعرفة المعاصرة هو تعدد موضوعاتها وتفرعها داخل العلم الواحد، وتبعاً لذلك تتعدد وتتغير مناهجها على تبع تغير وتفرع موضوعاتها، سواء في مجال الفيزياء أو البيولوجيا أو التقنية أو التكنولوجيا أو غيرها، غير أن موضوعات ومناهج العلوم بقيت على الرغم من موضوعيتها وأهدافها العملية عاجزة عن معرفة حقيقة الظواهر التي تبحثها، "غير أن الصفة التي يمتاز بها العلم ترجع إلى أنه يترك -عامداً أو متعمداً- الكلمة الأخيرة للشيء ذاته، وللشيء وحده. وحين يتمسك العلم بما في الأشياء من مادة صرفة، فإنه يخضع للموجود بحيث يترك له وله وحده - أن يكشف عن نفسه"⁹، لا يمكن للعلم أن يفكر نفسه كعلم، وبالتالي فإن نتائجه ليست متوقفة عليه بشكل مطلق، العلم يعتمد على تفسير وتأويل الظواهر، إن الكلمة الأولى والأخيرة بالنسبة للاكتشافات العلمية إنما ترجع إلى الظواهر لا يستطيع العلم أن يقول أي حقيقة خارج الظواهر، إن العلم يخضع للموجود في كليته، بيد أن الفلسفة بمعناها

الحق في نظر هيدغر هي تجاوز للموجود من حيث هو موجود والاهتمام بالوجود ذاته. إذ "منذ المنعطف الذي طرأ على فكر هيدغر ابتداء من سنة 1930 أضحى التفكير في الوجود بعيدا عن كل تصور لفهم الوجود، حيث توجه هيدغر مباشرة إلى التفكير في الوجود أو في حقيقة الوجود انطلاقا من الوجود ذاته"¹⁰، ليس للفلسفة مهمة اجتماعية واضحة بالمعنى الذي يجعل من العلوم في خدمة الإنسان، لذلك كانت اجابة هيدغر عن سؤال فيسر حول المهمة الاجتماعية للفلسفة بالنفي "لا يمكن الحديث عن مهمة اجتماعية بهذا المعنى"¹¹.

ذلك أن تطور المجتمع الحديث في نظر هيدغر لم ينفصل عن مبدأ الذاتية، بل أنه كما يقول "ليس سوى صيغة مطلقة للذاتية"¹²، إن معايير قيام المجتمع الغربي الحديث قد تحددت سلفا وفق مبدأ الذاتية الذي وضع رونييه ديكارت مبدأه النظري، حينما اعتبر أن الانسان سيدا للطبيعة ومالكها، وأن الذات الإنسانية هي اليقين المطلق الذي لا يطلاله الشك، "إن الذاتية Subjektivität : Subjectivité، تعني ما يجعل الذات ذاتا وهيدجر يرى أن ما يميز التاريخ الغربي الحديث هو أن الذات أصبحت مركزا يتحدد على ضوئه ما يجب أن يعتبر كائنا وما لا يجب أن يعتبر كذلك. والذات قد تؤول بأشكال مختلفة: مثلا كوعي ترنسندنتالي، كجسد كعرق كمجتمع الخ"¹³. إن المجتمع الحديث لا يعدو أن يكون سوى صورة متمثلة لما تقره الذات العارفة سلفا التي تحولت مع ايمانويل كانط الى مبدأ للقيم الاخلاقية ومع فريديريك هيغل الى مبدأ للتاريخ، إن المجتمع بمفهومه العام ليس سوى تلك المعارف والقيم التي تسقطها الذات في علاقاتها مع الدوات الأخرى، وبالتالي فمن غير الممكن الكلام عن مجتمع يمكنه أن يتنصل تماما من حاكمية مبدأ الذاتية.

إن ظهور العلم بمعناه الحق تم مع الحداثة الغربية^{***}، وذلك منذ أن حدد ديكارت معالم الحداثة الغربية برمتها حينما اعتبر الذات الإنسانية مبدأ للمعرفة والوجود، "الميتافيزيقا الحديثة بدأت مع ديكارت من خلال تعريف الحقيقة كيقين"¹⁴، فالذات هي المرجع في الحكم على الموضوعات وتحديد معايير الحقيقة واليقين، "لم يوجد العلم كبحت إلا حينما أصبحت الحقيقة يقينا للتمثل وتحدد الموجد لأول مرة كموضوع له في ميتافيزيقا "ديكارت". فعنوان الكتاب الرئيسي لهذا الأخير

"تأملات في الفلسفة الأولى" (بريتي فيلوصوفيا) هو المفهوم الأرسطو طاليسي لما سيسمى فيما بعد بـ: "الميتافيزيقا". والميتافيزيقا الحديثة بكاملها، بما فيها ميتافيزيقا "نيتشه"، سوف لن تحيد عن هذا التأويل للموجود وللحقيقة الذي أقامه "ديكارت"¹⁵، إن العلم بمعناه الحديث لم ينفصل عن الميتافيزيقا، بل أن النظريات العلمية الحديثة التي استندت على المعايير الموضوعية في بناء أحكامها ونتائجها بقيت تستمد أصولها ومبادئها من الذات الإنسانية التي كانت المرجع الأول والأخير في الحكم على صدق وصحة يقينيات العلم، ولئن اعتقد الفلاسفة التحريبيون والوضعيون على أنهم تجاوزوا الميتافيزيقا من خلال تحرير المعارف الحسية والموضوعية من الافتراض المسبق لأحكام الذات، إلا أن الذات بقيت المرجع الأخير في تأكيد موضوعية المعرفة والوجود معا. إن الاختلاف بين فلاسفة العصر الحديث حول أولوية وأسبقية المعرفة والوجود بين (ذات / موضوع)، انتهى في الأخير مع كانط وهيكل إلى تأكيد أولوية الذات وأسبقيتها المعرفية والأونطولوجية ومع فريديريك نيتشه في إرادة القوة ومع إدموند هوسرل في الذاتية المتعالية، ومن هنا تحددت حسب هيدغر أطوار التشكل والاكتمال لميتافيزيقا الحداثة الغربية في نسق الذات.

إن السؤال حول مهمة الفلسفة بالشكل العملي يقتضي التغيير في نمط التفكير الفلسفي ذاته، لأنه لا يمكن تغيير الانسان والمجتمع إلا اذا غير الفكر تصورات، لذلك نجد هيدغر في قراءته لمقولة كارل ماركس "لم يقم الفلاسفة إلا بتأويل العالم بكيفيات مختلفة، في حين أن المهم هو تغييره"¹⁶، يرى أن كارل ماركس ذاته من خلال قوله هذا استند الى تأويل معين للعالم في مطالبته بتغيير العالم، ذلك أن "تغيير العالم يفترض تغييرا في تصور العالم انه لا يمكن الوصول الى تصور للعالم إلا اذا تم تأويله على نحو كاف"¹⁷. لا يمكن الكلام بشكل مطلق عن تغير في المجتمع، العلم، الكائن، الكينونة. على النحو الذي يمكن من خلاله التخلص من مشكلات العصر لأن الفلسفة بهذا الشكل ليست سوى تأويل للعصر، اذ لا يمكنها أن تخلص العالم من مشكلاته وأزماته. إنها لا تعدو سوى أن تقدم صورة لما هو عليه هذا العصر، انها مجرد تأويل له فقط.

لقد عرف عن فلسفة هيدغر أنها فلسفة توغلت في سؤال الانطولوجيا الأساسية التي حددها مؤلف "الكينونة والزمان" 1927، وهي الانشغال بسؤال الكينونة من خلال تقويض صرح

الميتافيزيقا الغربية، إن همها الأكبر تجاوز/ تقويض الميتافيزيقا الغربية في سبيل الكشف عن سؤال الكينونة، وبالتالي إهمال سؤال الإنسان والمجتمع والقيم، يقول فيسر سائلا لهيدغر "واضح أن كل شيء يتعلق حسبكم بتقويض الذاتية، وليس بما يتم التركيز عليه اليوم: ما هو انتربولوجي ومتمركز على الإنسان، ليس بالتصور الذي يرى أن الانسان يكون بفضل المعرفة التي لديه عن نفسه والفعل الذي يقوم به قد أدرك ماهيته. بدل ذلك توجهون الانسان الى الانتباه الى تجربة الدوازين"¹⁸، كثيرٌ هي الاتهامات التي وجهت لفكر هيدغر من مثل أن فلسفته لا علاقة لها بالإنسان والمجتمع وأنها ضحت بالإنسان والمجتمع في سبيل سؤال الكينونة، في سؤال فيسر لمارتن هيدغر "كيف يمكن أن تصير فلسفتكم اليوم فعالة في مجتمع مشخص له مهامه وهمومه المتعددة، متاعبه وآلامه؟"¹⁹، يؤكد هيدغر أنه لا خلاص من سؤال الكينونة، لأن أي سؤال حول ماهية الانسان يفترض ويستدعي ضرورة سؤال الكينونة، إن منطلق مؤلف "الكينونة والزمان" هو كيف أن الميتافيزيقا الغربية نسيت سؤال الكينونة واهتمت بسؤال الكائن^{****}، بين هيدغر أن هذا النسيان ليس له معنى سلبي، وإنما هو مصير الميتافيزيقا الغربية ذاتها، إذ بعد ما كانت الكينونة منفتحة ومنكشفة في عهد الإغريق الأول أضحت منذ افلاطون والى غاية العلم والتقنية الحديثة اختفاء وانسحابا واحتجابا ولا تكشفها. "إن ما هو مستهدف من خلال السؤال عن "الوجود والزمن" هو اللامفكر فيه لذلك لا يعد هذا اللامفكر فيه في الميتافيزيقا نقصا فيها"²⁰، إن الميتافيزيقا قدر الغرب وهي تكشف عن نفسها في التاريخ الغربي من خلال تمثلها النسقي في كل عصر من العصور، ولكن البرادسم هو نفسه إن الروح الأفلاطوني والذات الحديثة وإرادة القوة وغيرها من المبادئ النسقية للحدثات تجد اكتمالها في التقنية بما هي عهد الاكتمال النسقي للميتافيزيقا، لقد بلغت الميتافيزيقا ذروتها في التقنية بما هي التحلي الأكثر خطورة لها، إذ "ولئن كان البعض يعتقد من خارج الطرح الهيدغري، بأن العلم والتقنية قد تجاوزا الميتافيزيقا، بالعكس من ذلك تعد التقنية عهد اكتمال واستتمام للميتافيزيقا الغربية، فالتقنية تستند على أحكام ومواقف ميتافيزيقية شكلتها الحداثة الغربية، حادثة ميتافيزيقا الذاتية"²¹، إن التقنية هي التحلي الأخير لميتافيزيقا الذاتية.

يقول هيدغر "ماهية التقنية ليست شيئاً تقنياً"²²، بل هي ميتافيزيقا، وما هو ميتافيزيقي في التقنية هو كونها حجبت الوجود الطبيعي للإنسان ودفعته إلى الارتباط بعالم معد بشكل إصطناعي ومتحكم فيه بشكل آلي وبالتالي سلبت من الإنسان حريته ووجوده الطبيعي الحر، "وهكذا فإن ماهية التقنية ليست البتة تقنية (أو شأناً تقنياً) وهكذا لم ندرك أبداً صلتنا بماهية التقنية، ما دمننا تقتصر على تصور التقنية وعلى ممارستها، على التكيف معها أو الهروب منها، نبقى في كل شيء مقيدين بالتقنية ومحرومين من الحرية"²³، إن التقنية تسيح الإنسان في عالم من التفاؤلية المصطنعة التي توهمه أنه بإمكانه التنبؤ بمستقبله والتحكم فيه بشكل آلي، بيد أن هذا الافتراض لا أساس له من الصحة، لأن هناك في مقابل التفاؤلية التي تخدرنا بها نتائج التقنية -التي تبدو أنها في صالح الإنسان- تشاؤومية مبطنة تكمن في النتائج الكارثية للتقنية، تلك التي قادت الإنسانية إلى حروب عالمية وإلى دمار كارثي للإنسان في وجوده. في سؤال فيسر حول كلام هيدغر عن مخاطر التقنية التي سيطرت على الإنسان وتحكمت فيه بقوله "ماذا تقصدون حينما تتحدثون ثانياً عن خطر أكبر من خطر القنبلة الذرية هو قانون التقنية"²⁴، يعترض هيدغر رافضاً لسوء فهم كلامه وعدم تأويله بشكل مناسب قائلاً "لست ضد التقنية، لم أقل أبداً شيئاً ضد التقنية ولا ضد ما يسمى شيطاناً في التقنية، ولكن أحاول أن أفهم ماهية التقنية"²⁵، إن ما ينبه عن خطورته هو استخدام التقنية ضد الإنسان. ذلك أن التقنية حينما تبلغ ذروتها كبيوفيزياء فإنها تصبح قادرة على صنع الإنسان وبالتالي تعفي الإنسان الطبيعي من مهامه وتتجاوزته وتتحكم فيه وتجعله أكثر تناه من ذاته.

إن هيدغر لا يرفض التقنية من خلال تبني مواقف أخلاقية أو دينية أو مواقف إنسانية محضة كما يلجئ إلى ذلك رجال الأخلاق والدين، وإنما هو يحذر من نتائجها السلبية التي سهلت للإنسانية سبل الحرب والدمار وجعلت إبادة الإنسانية أمراً وشيكاً. "يبدو أن هيدغر قد تأمل تجرّبي الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة ليخلص أن تلك الأحوال المرعبة للحرب كانت زوبعة في فئجان التقنية التي لم تكشف بعد عن كل ماهيتها الميتافيزيقية"²⁶، إن معنى خطورة التقنية هو أنها تجعل من فكر الإنسان مجرد فكر حسابي، بل أن التقنية تعفي الإنسان من التفكير الأصيل ومن الانشغال بكيئوته الحقبة ****، كما أن التقنية تعفي الإنسان من الشغل والعمل وتجعله إتكالياً

معتمدا عليها في كل أموره ومنقاد لها وخاضعا لتتائجها، إن التقنية الحديثة توجهت صوب الكائن وتجاهلت الكينونة ولم تراعي لها حسابا، وبالتالي أفرغت الانسان من إنسانيته، لأن الإنسانية أضحت تحيا في عالم الكائن ورضت به واطمأنت له، بيد أن هذه الطمأنينة ظرفية زمانية لا عمل عليها، لأن التقنية وإن كانت تحفظ للإنسان عالما جديدا، عالما رقميا وحسابيا جديدا إلا أن نتائجه السلبية تخترق وجوده وتهدد مصيره.

يبدو أن هيدغر لا يدعو إلى رفض التقنية رفضا قطعيا وحذريا، ولا هو يدعو إلى امتداح التقنية والإشادة بها لأنه من جهة لا يمكن تجاهل مكاسب التقنية بالنسبة للإنسان، حيث سهلت له سبل وجوده في العالم، ولكن من جهة أخرى لا ينبغي مع هذا أن يصبح الإنسان منقادا إلى التقنية ومرتبطا بها أشد الارتباط، بحيث لا يمكن أن يعيش وجوده ولا أن يستمر بدونها. إن هيدغر يحتفظ هنا بالموقف الوسط حيث أنه لا يغالي بالدفاع عن التقنية والإشادة بمحاسنها، كما أنه لا ينكرها أو يرفضها بشكل مطلق، لأنه لو اجتمعت الإنسانية جمعاء من أجل إيقاف التقنية نهائيا ومنعها عن الإنسان فإنها لن تفلح في ذلك، "التقنية في ماهيتها قدر تاريخ حقيقة الوجود"²⁷، إن الإنسان المعاصر انخرط بدون وعي منه في التقنية وأصبح منقادا لها، بحيث تصعب حياته بدونها وتتحول إلى عناء وجهد زائد يفقد الإنسان سكينته وطمأنينته التي اعتاد عليها بفعل تأثير التقنية. ولكن هذا لا يعني معه أن نقبل بالتقنية بدون قول كلمة "لا" وبدون رسم حدود في العلاقة معها. "الشيء تقني في ماهية التقنية: ولهذا ينبغي أن يجري التفكير الأساسي حول التقنية والشرح الحاسم معها في مجال يكون، من جهة، على صلة قرابة مع ماهية التقنية ويكون من جهة أخرى مختلفا عنها بشكل عميق. الفن هو هذا المجال. ويكون كذلك عندما لا ينغلق تأمل الفنان من جانبه على هذه الكوكبة من الحقيقة التي ترمي إليها أسئلتنا"²⁸.

يدعو هيدغر بالعودة إلى الأصل إلى الطبيعة مثلما كان عليه الفكر الإغريقي الطبيعي الأول الذي كان براءً كل البراء من التقنية ومن الإتكالية، حيث كان يُنظر إلى الإنسان وإلى قيمة وجوده من حيث هو عمل وشغل فعال يمكنه بذاته أن يحول الطبيعة إلى صالح وجوده، دونما توسط الوسائل التقنية التي يعتمدها إنسان العصر.

خاتمة:

إن النتيجة التي يمكن أن نخلص إليها من خلال تحليلنا لحوار مارتن هيدغر مع فيسر فيما يخص مهمة الفلسفة إزاء المجتمع والتقنية والكائن، هو أن الإنسان لا زال لم يفكر بعد في المآل الذي يمكن أن يؤول إليه المستقبل لاسيما وأن التقنية قد اكتسحت الوجود الإنساني وأفرغته من كل امتلاء للكينونة. يدعونا هيدغر من هذا المنطلق إلى محاولة إعمال الفكر في الجوانب اللامفكر فيها بشكل جدي، في الإنسان والتقنية والكائن والمجتمع، "إن الشيء المفكر فيه أكثر من غيره هو أننا لا نفكر بعد، دائما ليس بعد، على الرغم من أن وضع العالم يدعو باستمرار إلى التفكير فيه، يبدو أن ما تتطلبه هذه الظاهرة بالأحرى من الإنسان هو بالتأكيد أن يعمل handelt وأن يعمل فعلا دون تأخير، عوض أن يتحدث في المحاضرات والمكتبيات... ونتيجة لهذا فإن هناك نقصا في الفعل وليس أبدا في التفكير"²⁹. ينبغي على إنسان العصر أن يوجه تفكيره صوب العمل والفعل، لأن إمكانية التفكير لا تكفي لوحدها إذا لم يعمل الإنسان من تلقاء نفسه على توجيه الفكر نحو التفكير في العالم في مصير الإنسان والمجتمع، التفكير في اللامفكر فيه في التقنية والكائن، يقول هيدغر "لا أحد يعرف كيف سيكون مصير التفكير، سبق أن تكلمت سنة 1964 تحت عنوان نهاية الفلسفة ومهمة التفكير في محاضرة لم القها أنا نفسي وقدمت في ترجمتها الفرنسية، أنني أميز بين الفلسفة، أي الميتافيزيقا والتفكير كما أفهمه"³⁰.

إن التفكير في مهمة الفلسفة إزاء متغيرات العصر يفرض على الفكر التخلص من رواسب الميتافيزيقا التي بلغت ذروة اكتمالها في التقنية كاشفة عن كل إمكاناتها، يقول هيدغر في نهاية حوار مع فيسر كلمة سبق أن كتبها هاين ريش فون كلاسييت، -تأكيدا منه على مسؤولية التفكير في مستقبل الإنسانية- "انحني أمام ذلك الذي ليس هنا بعد، وانحني أمام روحه قبل قدومه بألف عام"³¹، إن التفكير هو المهمة العاجلة بالنسبة للجيل اللاحق من الفكر.

الهوامش:

*- يقول إسماعيل المصدق في تقديمه لترجمة هذا الحوار "نقدم فيما يلي ترجمة للحوار الذي أجراه ريتشارد فيسر مع هايدجر لفائدة إحدى قنوات التلفزة الألمانية ونشر في إطار مؤلف جماعي تحت إشراف ريتشارد فيسر عن دار النشر Karl Alber، فرايبورج، ميونيخ 1970، ص: 67-77... والحوار يتناول قضايا هامة مثل: الفلسفة والمجتمع والفلسفة والتقنية، والفلسفة والكائن الخ". ينظر تقديم الترجمة، -حوار مع مارتن هايدجر الفلسفة والمجتمع والتقنية والكائن"، أجرى الحوار: ريتشارد فيسر R. Wisser

- ترجمه عن الألمانية: إسماعيل المصدق، ضمن: "مجلة فكر ونقد مجلة ثقافية فكرية" المدير الإداري: محمد إبراهيم بوعلو، المدير ورئيس التحرير المسؤول: محمد عابد الجابري، سكرتير التحرير: عبد السلام بنعبد العالي، العدد 23(13) نوفمبر 1999.
- أنظر العدد الخاص بالمجلة 23 (13) نوفمبر 1999. الموجود ضمن عدة أعداد أخرى على الرابط التالي:
http://www.aljabriabed.net/n23_15musadaq.htm - أول زيارة يوم 2013/12/02. على الساعة 23:00.
 - آخر زيارة كانت على الرابط التالي: <http://www.dafatiri.com/vb/showthread.php?t=32550>. على الساعة 2016/10/02. (100 عدد من مجلة "فكر ونقد").
- 1- مارتن هيدغر، "الكيونة والزمان"، ترجمة وتقديم وتعليق: د. فتحي المسكيني، مراجعة: إسماعيل المصدق، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1 2012.
- 2- مارتن هيدغر، "ماذا يعني التفكير؟"، ترجمة نادية بونفكة، تقدم الدكتور: عبد الرحمان بوقاف، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر 2008، ص 70.
- 3- مارتن هيدغر، "ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هلدرلين وماهية الشعر"، ترجمة: فؤاد كامل ومحمود رجب، وراجعته على الأصل الألماني وقدم له: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د-س)، (د-ط)، ص 54، ص 55.
- 4- المصدر نفسه، ص 102.
- 5-AlainBoutot: Heidegger."pressesuniversitaires de France. 3 edition.1995:p86
- 6- هيدغر مارتن، "الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية"، ترجمة: فاطمة الجيوشي، وزارة الثقافة السورية دمشق، 1998، ص 92
- 7- أنظر: "مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية"، العدد 23(13) نوفمبر 1999.
- 8- مارتن هيدغر، "ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هلدرلين وماهية الشعر"، مصدر سابق، ص 102.
- 9- المصدر نفسه، ص 103.
- 10- إن المنعطف في فكر هيدغر ليس تغييرا عن وجهة نظر الكيونة والزمان، للمزيد من الإطلاع حول هذه الفكرة ينظر:
 - Alain Boutot: Heidegger."presses universitaires de France. 3 edition.1995:p 43
- 11- أنظر: "مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية"، العدد 23(13) نوفمبر 1999.
- 12- أنظر: "مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية"، العدد 23(13) نوفمبر 1999.
- **-"وكلمة: "ذات" هذه (Subjectum) يجب أن نفهمها في الحقيقة كترجمة للكلمة الإغريقية: (أبيخيمينون) التي تعني: ما هو ممتد أمام.. أي ما هو بمثابة عمق يجمع ويسند إليه.. (كل شيء). وهذه الدلالة الميتافيزيقية لمفهوم الذات، ليس لها في البداية أي علاقة خاصة بالإنسان، وأكثر من ذلك بال(أنا)"، أنظر في هذا الصدد:- هيدغر مارتن، "التقنية، الحقيقة الوجود"، ترجمة، محمد سبيلا، عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، 1995 ص 159.
- 13- أنظر في هذا شرح المترجم: "إسماعيل المصدق"، هامش رقم 01-
- ***- ماهية العلم الحديث تكمن في مبدأ ترييض الطبيعة، ظهرت لأول مرة في تاريخ الفكر سنة 1623، لأن غاليلي قال بأن الطبيعة مكتوبة بحروف رياضية، أنظر في هذا الصدد:
- Alain Boutot: Heidegger."pressesuniversitaires de France. 3 edition.1995:p85
- p74.-Ibid14
- 15- هيدغر مارتن، "التقنية، الحقيقة الوجود"، مصدر سابق، ص 156

